

لا بديل عن خيار الكفاح من أجل الاستقلال

أبوب بابو بارزاني 28 | 12 | 2022

الحروب الصغيرة والكبيرة في ميادين عديدة على كوكبنا، سواء في مجال الطاقة والموارد أو المجابهات العسكرية أو البعد الاقتصادي، الذي بدأ بالعقوبات الأميركية الأوروبية ضدّ روسيا، ومن يساندها، تجاوزت الأربعة آلاف قرار. واستضاف الرئيس (بايدن) (المؤتمر الأميركي/ الأفريقي)، في واشنطن، في الفترة من 13-15/ ديسمبر (كانون الأول) 2022، وذلك بحضور (40) دولة أفريقية، انما تعكس محاولات الغرب المستميتة بقيادة الولايات المتحدة الامريكية الحفاظ على هيمنتها على العالم، ومنع الصين وروسيا وإيران ومحور المقاومة من الصعود والتفوق على كافة الأصعدة، كذلك ضرب إرادة الشعوب في التحرر من الهيمنة الامبريالية والتلاحم مع القطب الشرقي الناهض بقوة.

الغرب وبالأخص أمريكا وبريطانيا توجان المشاكل والنزاعات في معظم أنحاء العالم لإرباك وعزل روسيا والصين، الاشتباكات الأخيرة بين قبرغيزستان وطاجيكستان وتشجيع دوشانبي على توفير "ممر عبور" للمسلحين المناهضين لطالبان في وادي بانشير يشكل تحدياً مباشراً لروسيا في المجال الأمني. ولكن مما أثار خيبة أمل الولايات المتحدة، انه رغم تبادل الجنود إطلاق النار على عدة نقاط من الحدود بين طاجيكستان وقبرغيزستان في سبتمبر/أيلول الماضي، اختارت موسكو وبكين البقاء على الهامش.

التمرد المقترح في (بانشير) يحدث كما تعود عليه الغرب باسم (الديمقراطية)، جبهة الخلاص الوطني بقيادة مسعود ابن مسعود شاه، متشبثة بالعنف للإطاحة بحكومة طالبان. لا يريد الغرب السلام والاستقرار في أفغانستان، ويتآمرون من جديد، وقد جمعوا عناصر مرتبطة بالنظام القديم للاجتماع في دوشانبي لإشعال فتيل حرب أهلية.

أمريكا كانت الأكثر عدوانية وغطرسة في تدمير الشعوب وبلدان العالم ونهبها للثروات. ونحن في العراق لا زلنا نعيش تحت الاحتلال المستدام الناجم عن (شلل الإرادة الشعبية) وصناعة طبقة سياسية فاسدة تحكم أربيل وبغداد وتكرّس التبعية. وهناك مساعي محمومة لإبعاد العراق عن المحور الصيني الروسي، ولم تكن استضافة المملكة الأردنية الهاشمية وهي تشهد موجة احتجاجات شعبية، لمؤتمر بغداد الثاني للتعاون والشراكة في منطقة البحر الميت في العشرين من كانون أول 2022 الأ نموذج متجدد لإبقاء العراق تحت المظلة الامريكية. فالصراع وعدم الاستقرار داخل العراق يوفران أرضية خصبة للتلاعب بالنخب الحاكمة. وشيئاً فشيئاً يزداد التشابه بين الحالة اللبنانية والحالة العراقية، ففي كلا البلدان، سيدتان تشغلان منصب السفير، (دوروثي ك. شيا) في لبنان (ألينا رومانسكي) في العراق، ويتصرفان كمنسوب سامي لهما حق الوصاية الكامل على البلدين وبإمكانها خلق أزمة اقتصادية وسياسية وأمنية خانقة يصعب تجاوزها!

السفارة الامريكية في بغداد تعتمد على القوى المؤيدة للتطبيع مع إسرائيل ومعادية للقوى الوطنية الراضة للاحتلال. ثم أن أي تدخل خارجي ومن أية جهة كانت مرفوضة بشدة. فالسفارة والقواعد العسكرية الامريكية المنتشرة في محافظتي بغداد وأربيل، متمرسة في تحريك الشارع وفلول (داعش) متى ما رغبت في معاقبة الحكومة وفرض تغيير المسار على سياساتها حتى تنسجم مع ما تريده أمريكا أو حلفائها الإقليميين، ويعملان على اجهاض أية محاولة تهدف تعزيز سيادة البلاد وتحرير الإرادة الرسمية العراقية من قيود الهيمنة الامريكية ولا تقيم وزناً لقرارات البرلمان العراقي، وتمنع تبني سياسة خارجية مستقلة أو حتى محايدة.

تهدف إدارة (بايدن) جعل العراق قاعدة انطلاق للتدخل في شؤون إيران الداخلية واثارة الفوضى والقيام بأعمال إرهابية كما تقول طهران، فدور العراق، في الاستراتيجية الأميركية والبريطانية، هو دور فصل إيران عن سوريا ولبنان ولذا نرى دفع الحكومة العراقية نحو أصدقاء إسرائيل مثل مصر والأردن والسعودية وربطه بالبعد العسكري والأمني والاقتصادي والتجاري بهذه الدول. وأن يكون العراق ورقة ضغط بيد الغرب والسعودية ضد القوى الوطنية العراقية الداعية لإنهاء الاحتلال الاجنبي أو ضد أي طرف لا ينسجم مع سياسات واشنطن ولندن.

في مثل هذه الأجواء المعقدة وتضارب مصالح الدول الكبرى، يجد رئيس الوزراء (محمد شياع السوداني) نفسه مقيد الحرية في العمل السياسي، فان تصرف وفق مفهوم ان العراق دولة مستقلة ذات سيادة وتنفذ قرارات البرلمان، والعمل وفق مصالح البلاد ودون معاداة طرف لحساب طرف آخر، تنبيري له السفارة الامريكية ألينا رومانسكي وتذكره "إن بلادها لن تنسحب من العراق ولديها التزام طويل الأمد مع هذا البلد والأولوية هي تنفيذ الاتفاقية الاستراتيجية الموقعة بينهما عام 2008". ولم يسأل أحد السفارة وهل التزمت واشنطن ببند الاتفاقية واحترمت سيادة العراق؟ ثم نشهد في هذا الشهر (ديسمبر) عودة العمليات الارهابية في كركوك ومخمور وديالى راح ضحيتها عدد من المدنيين وأسفر عن مقتل خمسة على الأقل من أفراد قوات الأمن العراقية.

وان عمل رئيس الوزراء على إرضاء واشنطن ولندن فلا شك من أن جميع القوى الوطنية الحقه والشرفاء سيتخلون عنه ويكيلون له الطعنات وتهم الخيانة، لذا من الصعب أن ينجو من عداء هذه الطرف أو ذلك.

في لبنان هناك قوة منظمة وصعبة الاختراق أمام محاولات الأعداء، ذات مصداقية وضامنة لكيلا تنحرف الدولة الضعيفة عن المسار الوطني الاستراتيجي، وهذا العامل أقل وضوحاً أو انه بعد لم يكتمل في المجتمع العراقي المخترق بعمق، أو بصورة أدق، توضع العراقيل

للحيلولة دون تكوين هذه القوة الصلبة التي تحمي الدولة من الانحراف والسقوط بأيدي لا أمانة لها. فالتشرذم والخلافات عميقة بين جميع مكونات المجتمع العراقي وحتى داخل الكتل والأحزاب والعوائل الحاكمة نفسها. أما «ممثلو الشعب – مجلس النواب» فلم يرتقوا مطلقاً الى المسؤولية الوطنية، والجديّة في التعاطي مع مشاكل شعبنا والتحمّس بهموم الناس اليومية.

في هذه اليوم وردتنا أخبار من بغداد عن التلاعب بقيمة صرف الدولار وغلاء المعيشة كما يحصل في لبنان وكلها صناعة أمريكية وعبر مرتزقتها المحليين. والواقع هو أن الاحتلال لم يترك خيار آخر غير الكفاح من أجل الاستقلال.

من يقرأ كتاب (محو العراق) يفهم تماماً ان واشنطن لم تحتل العراق لبنائه وتطويره أو من أجل الديمقراطية أو سعادة الشعب العراقي واحترامه، هذه أضغاث أحلام. فكلما طال أمد الاحتلال ازداد التشرذم والانقسامات وتعززت قبضة القيادات الفاسدة في أربيل وبغداد وعبرها تترسخ سلطة الاحتلال على مقدرات شعبنا، كما انها تساهم في تشجيع التدخلات الإقليمية في شؤون العراق وبالأخص من الدول الجارة.

الحلّ الأساسي والجوهري لمشاكل العراق وشعبه، يكمن أولاً وأخيراً في العمل الجماهيري المنظم لنيل الاستقلال والحرية وانتهاء الاحتلال أيّاً كان مصدره وشكله، وبدون ذلك نكون قد اخترنا العمل في الحلقة المفرغة.

لقد أصبح العمل على انتهاء الاحتلال قدراً لا منجاة منه، وهذا ممكن عندما تتشكل قيادة وطنية مخلصه ومتفانية ولديها القابليات والفكر النير وتحشد جميع طاقات الشعب العراقي خلف هدف واحد، الا وهو (انتهاء الاحتلال)، واعلام ببيت قيم المقاومة ومُوجه بعناية لتوعية وتوحيد الجماهير تحت راية الكفاح التحرري وانتشالها من هيمنة الطبقة السياسية الفاسدة.